تاريخ ملتزم بالجماهير العربية

د. اسامة الدور

١ ـ الجانب المنهجي

ان الاساس بالنسبة لمؤتمرنا هذا ينحصر في امكانيه دراسة تاريخ الامه العربيه دراسة موضوعية . ولانجاز مثل هذه المهمة لا بد لنا من الاعتماد على وقائع الماضي والحاضر التي وجدت فيها عملية التطور الموضوعية انعكاسا لها . ان تجميع الوقائع وتصنيفها ومعالجتها من ارتباط بعضها بالاخر يشكل الاساس الداخلي لتنفيد المهمة التي نحن بصددها . ولا شك في اننا بحاجة لبذل مجهودات مضنية لتنفيذ عملية التجميع المركز للوقائع وتصنيفها ودراستها (الوثائق . المخطوطات ، المواد الاركيولوجية . المواد الاثنوغرافية) . هذا مع ملاحظة ان من الضروري أن يؤخذ . ليس مجرد وقائع تاريخية متفرقة . وانما مجمل الوقائع التاريخية المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية دون أي استثناء . فالتجميع بقدر الامكان لمجمل الوقائع عن أحداث تاريخنا المختلفة وعن الظواهر والتفاعلات والعمليات التاريخية ، التجميع الدائم الدؤوب لذلك النوع من الوقائع وتصنيفها ودراستها في مدى ترابطها وتداخلها ، يشكل شرطا ضروريا وأساسيا لكتابة تاريخنا العربي ولتطور البحث العلمي في هذا المجال . ولكن لا يمكن أن نكتفي بوصف الاحداث وسردها دون بذل محاولة لتفهم تلك الاحداث وتفسيرها . لذلك لا بد لنا من الانتقال ، على أساس مجمل الوقائع ، لتفهم وتفسير بعض الظواهر والعمليات من حياة مجتمعنا العربي وللكشف عن القوانين التي تحكم تطوره ولاستنباط خصائص التطور التاريخي . مثل تلك الاستنتاجات علينا ان نصوغها في شكل تعميمات نظرية . ولكي يصبح بمقدورنا استرجاع الصورة الموضوعية لعملية تطور المجتمع العربي . لا بد وان نحدد العناصر التي تشترك في عملية التطور التاريخي تلك والدور الذي يلعبه كل عنصر من تلك العناصر . كما لا بد لنا من الدراسة التفصيلية لتركيب الموضوع واشكال تبدله في المراحل المختلفة من العملية التاريخية . واخيرا لكي يصبح باستطاعتنا وضع تصور للتطور التاريخي بالتحديد كعملية وليس فقط مجرد سلسلة متتابعة كرونولوجيا من حالات الموضوع ، لا بد وان نكشف عن قوانين الانتقال من حالة تاريخية لاخرى . أن التعميمات التاريخية . وادراك مجمل الوقائع المجمعة والمصنفة والمدروسة في مدى ارتباط وتداخل احداها بالاخرى ومن ثم التوصل للاستنتاجات الفردية . كل ذلك يشكل الجانب الآخر لابحاثنا المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية . ان التاريخ يحتوي في داخله على النظرية والتي بدون تواجدها لا يمكن لنا التحدث عن امكانية كتابة التاريخ الموضوعي لامتنا العربية .

يجب أن نلفت اليه اهتمام طلابنا ونتخذ بشأنه توصية ملائمة في مؤتمرنا هذا .

٦ ـ وأخيرا ، وفيما يتعلق بمجلة « المؤرخ العربي » التي تصدرها الامانة العامة للاتحاد ، فاني أقترح أن تنتهج منهجا جديدا وأن تخصص صفحاتها لنقد الكتب التاريخية . واذا فعلت ذلك ، فانها قد تصبح أنجح وسيلة لرفع مستوى الكتابة التاريخية ولتفاعل الآراء بين المؤرخين العرب في شتى أنحاء الوطن العربي . فبدون مثل هذا التفاعل الخلاق المستمر عبر النقد المسؤول العلمي الدقيق لن يتسنى للمؤرخين العرب الوسيلة النافعة للنهوض بمستوى كتابة التاريخ على مستوى الامة العربية جمعاء .

٧ ـ انعزال كتابة التاريخ العربي عن تاريخ الشعوب الاخرى ، مع العلم ان الحضارة العربية الاسلامية هي التي أبدعت علم الحضارات المقارن . فنحن لا نكاد نجد في جامعاتنا خبيرا واحدا في تاريخ الهند والصين وايران مثلا . لذا يجب ان يسد النقص في تاريخ الشعوب التي ارتبطت وترتبط بنا تاريخيا .

طريف الخالدي

دائرة التاريخ بالجامعة الاميركية ـ بيروت

ان وحدة الجانبين الخاصين بالبحث التاريخي الموضوعي لهي وحدة لا تنفصم ، ففي ادراك تاريخ المجتمع تتمازج جدليا من الجانب الاول عملية تجميع الوقائع وتصنيفها ودراستها في ارتباطها وتداخلها ، ومن الجانب الثاني التعميم النظري للوقائع التي يتم تجميعها وتصنيفها ودراستها . ان اي خلل يصيب هذه الوحدة، بهذا القدر أو ذاك ، سيؤدي حتما لتشويه وتزييف وتحريف عملية معرفة تاريخ امتنا العربية ، الشيء الذي سيجد له انعكاسا سلبيا في نتائج ابحاثنا . وما أكثر مظاهر ذلك التشويه والتزييف والتحريف الذي نجده في ابحاث بعض زملائنا من المؤرخين العرب عندما يبتعدون بأبحاثهم التاريخية عن الوقائع الموضوعية أو يهملونها ليأخذوا في وضع مخططات سوسيولوجية تعسفية للتطور الاجتماعي دون اعتبار أو استناد لاسس علمية كافية ، أو في أبحاث الذين لجأوا الى التجريبية وانحصر هدفهم في الركض لتجميع وتسمية الوقائع دون بذل محاولة جادة لفهمها وتعميمها نظريا والكشف عن القوانين المحددة .

ان التاريخ الذي علينا أن نكتبه لا بد وأن يكون صادقا وعلميا ، أن يتجنب المبالغات ويلتزم علما بالواقع الحقيقي لهذا العصر أو ذاك من تاريخ امتنا العربية . وبجانب ذلك فان التاريخ الذي علينا أن نكتبه لا بد وأن يكون ملتزما ومنحازا ، والتزام وانحياز ابحاثنا التاريخية بعكس انحيازنا والتزامنا للجماهير العربية ، للمنتجين الحقيقيين لثروات امتنا العربية ، للمبدع الاساسي لتاريخ امتنا العربية ـ للشعب العربي وليس للملوك والحكام والامراء وكبار الملاك . هذا الالتزام والانحياز لا بد وأن يجد له انعكاسا في التعميمات النظرية التي نتوصل اليها اعتمادا على المواد الوقائعية .

ان المعادين لتقدم شعوبنا والاستسلاميين الذين تتعارض مصالحهم والاتجاه السائد اليوم والمؤدي للمزيد من تطور مجتمعنا العربي لا مصلحة لديهم في ما نتحدث عنه من « المعرفة الموضوعية لتاريخ امتنا » . لذلك فان أفكارهم التي تجد انعكاسا لها في نظم سوسيولوجية محددة تولد التشويه والتحريف في البحث التاريخي ؛ وارتباط الابحاث التاريخية في عالمنا العربي بمثل تلك النظم السوسيولوجية كثيرا ما عاق في الماضي ويعيق في الحاضر كتابة التاريخ الموضوعي لشعبنا العربي . وبالعكس ؛ فالتجربة أثبتت ان ارتباط البحث التاريخي في عالمنا العربي بالاتجاهات السوسيولوجية الطليعية بالنسبة لعصرها والتي تقف حاليا دفاعا عن مصالح امتنا المستقبلية . هذا النوع من الارتباط كان دائما ارتباطا حتميا ومنتجا .

ثانيا ـ المقترحات حول كيفية التنفيذ الفعلي :

١ ـ في البحث التاريخي جرت عملية افراز التخصصات حسب أجزاء التاريخ المختلفة . وتجري الدراسة حسب عدة مبادىء : مبدأ العصور ، المبدأ المساحي الجغرافي ، حسب مجموعة مسائل ، حسب الجوانب والظواهر المتفرقة . أقترح استخدام مبدأ العصور (والذي سيكون انطلاقا من مفهوم التاريخ العالمي أيضا مبدأ مساحيا جغرافيا) أي :

* تاريخ الامة العربية في عصور ما قبل التاريخ .
* تاريخ الامة العربية في العصور القديمة .
* تاريخ الامة العربية في العصور الوسطى .
* تاريخ الامة العربية في العصور الحديثة .
* تاريخ الامة العربية المعاصر .

على أن يكتب تاريخ كل مرحلة اما في مجلد أو مجلدين حسب حجم المادة ، على أن تقسم كل مرحلة انطلاقا من المبدأ المساحي الجغرافي أي القطري .

٢ ـ يقوم بكتابة كل مرحلة مؤرخون عرب من أقطار عالمنا العربي (كل بكتب عن قطره) من المتخصصين، الا اذا لم يوجد الاخصائي في القطر المعين فان اللجنة المشرفة يمكنها أن تعين مؤرخا من قطر عربي آخر .

٣ ـ استمرارية صدور « المؤرخ العربي » ودعمها كحولية شمولية أساسية تعكس الابحاث العينية لكافة المؤرخين العرب ، لكافة مراحل تاريخ أقطار الوطن العربي .

٤ ـ الاحتفاظ باستمرارية وتطوير المجلات القطرية المتخصصة .

٥ ـ ان يصدر اتحاد المؤرخين العرب مجلة دورية ثانية يتدارس فيها الباحثون المسائل النظرية المتعلقة بمنهجية البحث التاريخي .

٦ ـ بما انه لا يوجد اتفاق حول مسألة كرونولوجية الانتقال من مرحلة الى اخرى ؛ أقترح تضمين هذا الموضوع في جدول أعمال الندوة العالمية في تونس لمناقشة موضوع البحث التاريخي وتحديد المنهجية التاريخية للباحث العربي والمزمع عقدها بالجامعة التونسية حسب جدول النشاطات التي يعتزم الاتحاد القيام بها في خطته المقبلة .

د. اسامة النور
جامعة عدن